أثر نظريَّة المعنى في تحديد الزمن لدى الكوفيين

أ د. غياث محمد بابو*

د. حكمت بربهان**

عامر الشحود***

ملخص البحث

لعلّ من الضرورة البحثية هنا أن نعيد دراسة مفهوم ثنائية (اللغة والفكر) بما يتناسب وطبيعة هذا البحث الذي نعالج به وفيه موضوع "نظريَّة المعنى" وبما يراعي المعطيات الجديدة التي توصلت إليها البحوث اللغوية والنقدية المعاصرة ،على أننا إذ نفعل ذلك نود الإشارة إلى الإشكالات القديمة والحديثة التي عرضت لحقيقة العلاقة بين اللغة الفكر ،والتي تتراوح تفسيراتها بين حمل اللغة الفكر للإنسان ثم بين الإنسان والأشياء وهذا مذهب القدماء عموماً وما بين كون اللغة حاملاً للفكر ومؤثراً فيه ،وهذا مذهب أغلب المعاصرين.

فالزمن في العربيّة من منظور الكوفيّين أخذ تقسيماً مختلفاً عن التقسيم البصري ،وهذا ما عكسه البحث في تسليط الضوء على أثر نظريّة المعنى في تحديد الزمن عند الكوفيّين وارتباط السياق والقرائن اللفظيّة في هذا التّحديد .

ومن هذا المنطلق تصبح دراسة المعنى في القرآن الكريم متجسّدة بالدلالة التي أعطتها الآية القرآنيّة من دلالة مرتبطة بالساحة الزّمنية من جهة وبالدلالة السِّياقية للمعنى من جهة أخرى ،فبرز تأثير المعنى في صيغ الأفعال من خلال سياق المعنى في الشاهد القرآني وتحليل الكوفيين للمعنى ضمن الزّمن وفقاً للقرائن ودلالة السياق.

الكلمات المفتاحية: الزمن ،السياق ،الكوفيّون ،القاعدة ،المعنى.

The impact of the theory of meaning in determining time among the Kufans

Research Summary

It may be necessary here to re-examine and evaluate the concept of the duality of (language and thought) in accordance with the nature of this research, which addresses the topic of the 'theory of meaning,' while considering the new data that contemporary linguistic and critical research has reached. In doing so, we would like to point out the old and modern issues that have addressed the reality of the relationship between language and thought, which range in interpretations from language bearing the thoughts of humans to the relationship between humans and things, a viewpoint generally held by the ancients, and from language being a bearer of thought and affecting it, to language being a producer of thought, a view held by most contemporaries. The concept of time in Arabic from the perspective of the Kufans has taken a different classification than the Basran classification, and this has been reflected in the research highlighting the impact of the theory of meaning in defining time for the Kufans and the connection of context and linguistic indicators in this definition. From this standpoint, the study of meaning in the Holy Qur'an becomes embodied in the significance that a Qur'anic verse provides, with one meaning linked to the temporal context and another linked to the contextual meaning. The impact of meaning emerged in the forms of verbs through the context of meaning in the Qur'anic evidence and the analysis of the Kufans.

مقدّمة:

- **مشكلة البحث وأهميته:**

تكمن أهميّة البحث في محاولته تسليط الضوء على جانب مهمّ من جوانب دراسة الزمن في التركيب النحوي للسياق القرآني من خلال ما يأتي :

1. تسليط الضوء على نظرية المعنى، وارتباطها بالسياق من خلال الدراسات التي تناولت المعنى؛ قديمها ،وحديثها.
2. دراسة الأفعال والمشتقّات ودلالة أزمنتها في ظلّ الدراسات الحديثة التي درست المعنى.
3. الموازنة بين المعنى والسياق في نظر كل منهما لدلالة الزمن.

- **أهداف البحث وأسئلته:**

يهدف البحث إلى دراسة الزمن في السياق النصّي كما تناولته نظرية المعنى من وجهة نظر الكوفيين، كما يهدف إلى تسليط الضوء على الزمن في التحليل الكوفي الذي ارتبط بالمعنى وابتعد عن الصيغة الصرفية، ويهدف أيضاً إلى إظهار الأثر الذي تركته نظرية المعنى في تحليل الزمن في جانبه السياقي ضمن التركيب الفعلي.

- **مشكلة البحث وحدوده:**

مشكلة البحث هي تلك المشكلة التي رافقت النّحو العربي منذ نشأته؛ ألا وهي مشكلة الخلاف النحوي بين المدرستين البصريّة والكوفيّة، والمشكلة التي دعتنا لإعداد بحث يهتم بدراسة الأفعال من وجهة نظر الكوفيين الذين اعتمدوا جانب السياق والمعنى، فبرزت المشكلة في الوقوف على الآراء من وجهة نظر المعنى والسياق، ومقارنة تلك النظرة مع البصريين الذين مالوا إلى نظرية العامل.

- **مصطلحات البحث وتعريفاته الإجرائية:**

لا بدّ من التعريف بمصطلحات البحث؛ من مثل تعريف الزمن لغةً كما جاء في معاجم العربية، واصطلاحاً كما حدّه الاصطلاحيون، ولمّا كان بحثنا في الزمنين، السياقي والصّرفي، كان لا بدّ من تمهيد لضبط المصطلحين، الزمن الصرفي والسّياقي بين القدماء والمحدثين؛ إذ لكلٍّ من

القدماء والمحدثين منهجٌ اتبعه في دراسة الزمن، وذلك فيما يخصّ الشقّ الأوّل من العنوان، أمّا الشقّ الآخر من العنوان، فله أهميته الكبرى في الدراسات النحوية، نظرية العامل التي لاقت قبولاً لدى النحاة، وكانت الأساس الأول في تأصيل قواعدهم، وتقعيدها، ونبدأ بالآتي:

- **الزّمن الصرفي، والزّمن السِّياقي بين القدماء والمحدثين .**
- **الزّمن الصرفي:**

الزّمن الصرفي يرتبط الارتباط الوثيق بالصيغة الصرفيّة والوزن الصّرفي المعتمد على الصيغ الزمنيّة (فعل، يفعل، سيفعل) ،وهي تجمع بين الماضي والحاضر والمستقبل ،فإذا كان المعجميون قد نظروا إلى الزّمن بكون مادته وأصله اللّغوي، فإنّ النحويين قد نظروا نظرة مختلفة عن تلك النظرة، حيث نظروا إلى الزّمن بوقت حدوثه، وقسّموه إلى ماضٍ ومضارع وأمر، ثم جعلوا هذه الدّلالات الزّمنية الصرفية نظاماً زمنياً. وطبّقوها على صيغ الأفعال في السياق لذلك سمي الماضي ماضياً. ويكون معناه في السياق الاستقبال، والمضارع ما يحدث في الوقت الراهن، أما الأمر فإنه يحمل معاني الارتفاع والتوجيه، وعلو المكانة. [1]

يتجلى الزّمن الصّرفي في صيغ الأفعال خارج السياق النصيّ، وهي، أي: الأفعال في سياقها الصرفي تدل على زمن عمومي مطلق غير محدد بشيء، ولهذا وجدنا سيبويه يحد الأفعال بأزمنتها الصرفية لا السِّياقية في قوله: (وأما الفعل، فأمثلة أُخذتْ من لفظ أحداث الأسماء، وبُنيتْ لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينَقطع. فأمّا بناء ما مضى فـ(ذَهَبَ وسَمِعِ وحُمِدَ). وأمّا بناء ما لم يقع فإنّه قولك آمِراً: اذهَب واقتُلْ واضرِبْ، ومخبراً: يَقْتُلُ ويَذهَبُ ويَضرِبُ ويُقْتَلُ

[1] ينظر : شرح كتاب سيبويه: أبوسعيد السيرافي الحسن بن عبد الله بن المرزبان، بتحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2008 م: 43/1. المفصل في صنعة الإعراب: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، بتحقيق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال – بيروت، ط1، 1993، ص 25.

ويُضرَبُ. وكذلك بناء ما لم يَنقطع و هوكائن إذا أخبرتَ. فهذه الأمثلة التي أُخذت من لفظ أحداث الأسماء، ولها أبنية كثيرة) .[2]

- **الزّمن السِّياقي التركيبي:**

يعدّ الزمن السياقي المسار الصحيح للزمن في الابتعاد عن الصيغة الصّرفيّة التي لا تشير إلى مسار الزمن الصحيح ،وهذا ما درسه المعجميّون القدامى عندما درسوا البنية وفرّقوا بينها وبين الصيغة المبنيّة على ترتيب منظّم للحروف في قالب يشير إلى الزّمن ،ففي تاج العروس للزبيدي البنية هي الهيئة أو الشكل الظاهر (البِنْيَةَ الهَيْئَة الَّتِي {بُنِيَ عَلَيْهَا مِثْل المِشْيَة والرِّكْبَةِ.) [3]

فالزمن الماضي كما أشار الزّجاجي له زمانان زمن وقوع وزمن إخبار وهذا ما أشار إليه بقوله : (والفعل الماضي ما تقضّى ،وأتى عليه زمانان، لا أقل من ذلك ،زمان وجد فيه ،وزمان خُبّر فيه عنه) .[4]

وهذا التحديد من الزجاجي يُعدّ من أوائل النصوص التي تربط بين البنية الصرفية للفعل والزمن من جهة، وبين العلاقة بين زمن الحدث وزمن المتكلم من جهة أخرى، وهوما سيطوّره النحاة بعده في التفريق بين الزمن النحوي والزمن الدلالي.

فالزجاجي لا يكتفي بتعريف الماضي بأنه ما "تقدَّم"، بل يضيف قيدًا دقيقًا، وهو اشتراط اجتماع زمنين:

1. الزمن الذي وقع فيه الحدث،

---

[2] الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت ١٨٠هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م : 12/1.

[3] تاج العروس، محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، 2001م ، ج،37 ص218، مادة سوق .

4 الإيضاح في علل النحو، الزجاجي أبو القاسم ،، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس – بيروت، الطبعة الثالثة ،1979 م ،ص 87 ..

2. والزمن الذي يُخبَر فيه عنه.

وهذا ما أكّده ابن جنّي في الخصائص حين عبّر عن دخول الأدوات الجازمة على الفعل المضارع الذي عدل فيه من الماضي المنفي إلى المضارع ،وهذا كان في اختلاف السياق عن دلالة صيغة المضارع ،وهذا ما ذهب إليه ابن جني إذ قال : (ومنه قولهم : **لمْ يقمْ زيدٌ** ،جاؤوا فيه بلفظ المضارع ،وإن كان معناه المضي؛ وذلك أنّ المضارع أسبق رتبةً في النّفس من الماضي، ألا ترى أنّ أول أحوال الحوادث أن تكون معدومة، ثمّ توجد فيما بعد ،فالمضارع معدوم باعتبار أنه لم يقع بعدُ ،أمّا الماضي فقد وقع وانتهى، فإذا نفي المضارع الذي هو الأصل ؛ فما ظنُّك بالماضي الذي هو الفرع).[5]

ويمكن أن نعرف الزّمن السِّياقي بأنه الزّمن المستفاد من اجتماع مجموعة من القرائن اللفظية أو المعنوية في السياق النّصي، بحيث يُؤدّي اجتماع هذه القرائن إلى إفراز زمنٍ جديد يختلف عن زمن المفردة الصّرفية الدّالة على الزّمن العام، فعلى سبيل المثال، الفعل الماضي كما حدده النّحاة ما دل على زمن قد مضى وانتهى، ووجوده داخل السياق النّصي يعطيه دلالة زمنية مركبة زائدة على الدلالة الأصلية، من خلال تركيبه مع قرائن لفظية كأسماء الزمان الدّالة على الحاضر، ومن علامات معرفة الفعل الماضي دخول (قد) عليه، كقوله تعالى: ﴿**قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾[6]. فقوله تعالى:(تقاسموا)يحتمل أنْ يكون أمرًا أو خبرًا في محل الحال بإضمار(قد)، أي: قالوا متقاسمين، وقرئ(تقسّموا).[7]

فإذا قدرنا (قد) قبل الفعل(تقاسموا) فهو فعل ماض جملة في محل نصب حال، والمعنى : متقاسمين، وهو خبر لا ،شاء، وإذا كان فعل أمر إنشائي، فهو جملة في محل نصب مفعول به

5 الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ الطبعة الرابعة ،2006، 107/3.

6 النمل ،الآية 49

7 تقشير التفسير، أبو علي عالي بن إبراهيم بن إسماعيل الغزنوي البلقي الحنفي ،تحقيق علي مفتاح الشنبي : دار المالكية ،الطبعة الأولى ،2023، 2/ 559.

لفعل القول، كأنهم قالوا: تحالفوا وأقْسِمُوا لنُبيتنّه.[8] والتقدير هنا تقدير معنى، فالفعل(تقاسموا) إذا كان ماضيًا دل على الزّمن الماضي، ولا يصلح لأنْ يكون جملة حالية؛ لأنّ الماضي والحال متنافيان في الزّمن، فلما صح تقدير (قد) في المعنى صحّ وقوع الفعل الماضي حالًا ؛ لأنّ (قد) تقرّب زمن الماضي من الحال.

- **الإطار النظري والدراسات السابقة:**

من الدراسات التي تناولت الزمن في النّحو من جانب أو آخر والمتّصلة بالبحث من قرب

1. **ألفاظ الزمان في القرآن الكريم (دراسة نحوية) رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الكوفة (كلية التربية للبنات)** من إعداد تماضر قائد راضي ثامر الحاتمي ،بإشراف د. محمد حسين علي الصغير ،العراق ،2004م.
2. **الدلالة الزمنية للفعل في سورة يوسف** ،أطروحة ماستر ،إعداد الطالبة زهوة حوامد، إشراف الدكتور ناصر بركة ،جامعة محمد بوضياف بالمسيلة ،الجزائر ،2016م.

3 ـ بحث بعنوان(**مفهوم الزمن النحوي ودلالته بين القديم والحديث) ،لأحمد مجتبى السيد محمد ،مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية ،(2015م)** .

4 ـ **أثر السياق في تحديد دلالة الفعل المضارع في سورة مريم ،د. باقر فليح عبد الحسن، جامعة القادسية :**

- **منهج البحث وإجراءاته.**

اّتبع البحث المنهجَين الوصفي والتّاريخي ،وذلك بالوقوف على الظاهرة ووصفها وتحليلها، ودراستها للوصول إلى نتائج علميّة جادّة ،وتتبّع تاريخ النّحو فيما يتعلّق بالزّمن من خلال دراسة

8 معاني القراءات، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية ،الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م:242/2.

الأفعال والمشتقات من وجهة نظرية العامل والمعنى، والتوصّل إلى النتائج من خلال الموازنة بين هاتين الدراستين، متّخذاً من السور المكيّة في القرآن الكريم أنموذجاً تطبيقيّاً.

- **عرض البحث والمناقشة والتحليل:**

وفيه يتم عرض ما تناوله البحث من أفكار نظرية وتطبيق تحليليّ.

- **نتائج البحث:**

يخلُص البحث إلى جملة من النتائج التي نذكرها في ختام العرض والتحليل.

- **المعنى عند الكوفيّين:**

يعدّ علم الدّلالة علماً يهتمّ بالمعنى الذي يؤدّيه اللفظ منفرداً أوضمن السياق متأثّراً بالقرائن اللفظيّة ،ويركّز المعنى النّحوي اهتمامه في مجال النّحو على الدّلالة اللغويّة ،ومجال دراستي في هذا البحث هو المعنى النّحوي الذي تطوّر مع دراسة الكوفيّين له وتأثيره على الزّمن.

ترك الدّرس اللّغوي دراسته في المعنى النّحوي والدّلالة ،وبرز المعنى " القيمة الدقيقة التي يتخذها هذا المدلول المجرد في سياق أوحد" [9]،وفهم المعنى النّحوي يعتمد على السّياق وعلى المتكلّم في الوقت ذاته ؛إذ إنّ معرفة المعنى تتطلّب فهماً للمتكلّم[10]،وتبحث نظريَّة المعنى في كيفية امتلاء الألفاظ بالدلالات ،وكيف يمكن للألفاظ أنْ تكون ذات معنى، وبناءً على ذلك فإنّ (علم الدلالة) يأخذ على عاتقه البحث في الآليات والقواعد التي تتحكم في إنتاج المعنى.

[9] مدخل لدراسة المعنى النّحوي والدلالي ،حماسة عبد اللطيف، ط6 . دار الشروق، القاهرة مصر، .2999، ص41.

[10] ينظر : الدلالة والنحو، صالح الدين حسنين، ط.6 مكتبة الآداب، مصر ،ص 21.

فالأبحاث الدّلالية في الفكر العربي التّراثي، لا يمكن حصرها في حقل معين من الإنتاج الفكري بل هي تتوزع لتشمل مساحة شاسعة من العلوم، لأنّها مدينة "للتحاور بين المنطق وعلوم المناظرة وأصول الفقه والتفسير والنقد الأدبي والبيان" [11].

و موضوع الدّلالة هو المعنى اللّغوي، والمعنى اللغوي ينطلق من معنى المفرد من حيث حالتها المعجمية، ومتابعة التطورات الدّلالية والتغيرات التي تأخذها الكلمة في السّياقات المختلفة ؛إذ يصعب تحديد دلالية الكلمة لأنّ الكلمة تحمل في ذاتها دلالة مطلقة ،وإنّما السياق هو الذي يحدد لها دلالتها الحقيقية ،وتتجلّى هذه العناصر من خلال أنواع الدّلالة اللّغوية، حيث إنّها تختلف باختلاف الدارسين لها والمناهج المتّبعة لكنّ أهمّ مقومات الدّلالية هو الرمز والفكرة والشيء المشار إليه، ويطلق لفظ سياق على الطريق التي ساق فيها اللغة، والدور الذي تؤديه، فيساعد على كشف معنى الكلمة نتيجة للمعرفة السابقة التي يفترض أنها مشتركة بين المتكلم والسامع، والذي يتمكن عن طريقها من تأويل مقاصد المتكلم من كلامه، والوضع اللّغوي له، هذا الموضع الذي قد يؤدّي الى تعدّد السياقات، كاللغوي والعاطفي والثقافي وسياق الموقف، والزّمن في السياق هو مخالفة التّصريف الذي جاء فيه وهذا ما فصّله الكوفيّون في الزّمن المستقبل والفعل الدّائم الذي خالف التّصريف البصريّ المعروف في الأزمنة الثلاثة ،فتقسيم الكوفييّن للأزمنة من وجهة نظرهم يرتبط الارتباط الوثيق بنظريَّة المعنى.

وقد ذكر الزمخشري في أساس البلاغة عدة معاني في هذه المادة يقول في مادة سوق : " ساقَ الدابةَ يَسوقُها سَوْقًا: قادها. ومنه سَوَّقْتُ القومَ إلى موضعِ كذا: تقدّمتُ لهم وسُقتُهم. ويقال: سَوْقُ الكلامِ إحكامُ ترتيبِه، وساقَه إلى معنىً حسنٍ: نَظَمه إليه." [12]

[11] علم الدّلالة : د. أحمد مختار عمر الناشر: عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، مصر تاريخ النشر: 1998م رقم الطبعة: 5 ،ص.5.

[12] أساس البلاغة ،الزمخشري، ، ضبطه وعلّق عليه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، ص 476 (مادة: سوق).

وفي تهذيب اللغة للأزهري في مادة "ساق" قال الليث : السوق معروف، يقول سقناهم سوقاً، ونقول هو يسوق نفسه ويفيض نفسه، وقد فاضت نفسه، وأفاضه االله نفسه، .... ويقال فلان في أي في النزع وقال الليث : السوق موضع البيانات، وسوق الحرب، حرمة القتال، والإسافة سير الركاب للسروج .قال ابن شميل : ساق فلان من إمرته أي أعطاها مهرها، وساق مهرها سياقاً، والسياق المهر"[13].

إنّ القاسم المشترك بين هذه المعاني هو مادة السّياق وهو التتابع والتناسب والانسجام والسير والنظم، وما يختصّ فيه الزّمن من دلالة السّياق هو التّتابع لحركة الزّمن ضمن الجملة ،فالكوفيّون نظروا إلى الدّلالة أكثر من التّركيب والصيغة وهذا ما وسّع نطاق المعنى في الدلالة الزّمنيّة لديهم.

والسياق في الاصطلاح : هو دراسة الكلمة داخل التركيب أو التشكيل الذي ترد فيه إذ لا يظهر معنى الكلمة الحقيقي إلاّ من خلال السّياق بضروبه المختلفة فمثلاً كلمة " يد " وهي في الحقيقة معروفة، وقد تنتقل إلى المجاز الذي يولد فيه السّياقات المختلفة تقول " : أعطيته مالاً عن ظهر يد " : يعني تفضلاً ليس من بيع ولا قرض ولا مكافأة، ولا نستطيع أنْ نقول، إن كلمة " يد " لها معان مختلفة عندما ترد منفردة لأنّه لا يمكن فهم أيّة كلمة على نحو تام بمعزل عن الكلمات الأخرى ذات الصلة بها والتي تحدد معناها.[14]

فالسياق هو الذي يحدد قيمة الكلمة في كل حالة من الحالات ؛إذ إنّ الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديداً مؤقتاً ،والسّياق هو الذي يفوض قيمة واحدة بعينها على كلّ الكلمة بالرغم من المعاني المتنوّعة التي في وسعها أن تدل عليها[15]، والسياق في

[13] تهذيب اللغة ،الأزهري رشيد عبد الرحمن العبيدي الهيئة المصرية ،القاهرة 1970م، مادة سوق .

[14]اللغة العربيّة معناها و مبناها ، دار الثقافة ،القاهرة ،ط3 ،2006 ،ص299.

[15] ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث ، الدكتور محمد اسماعيل بصل وفاطمة بلة ،مجلة دراسات في اللغة العربيّة وآدابها ،العدد الثامن عشر ،2014م ،ص 4

الزّمن يتضمّن الدّلالة التي خرج إليها الزّمن في مساره الزّمني الذي خالف فيه التصريف الّذي جاء عليه ،ومن ثمّ ورود الفعل في صيغة صرفيّة ما ودلالته على زمن مخالف لما جاء فيه يدل على السياق الذي حكم دلالته ،وهنا لابدّ من الإشارة إلى العلاقة التي تحكم السّياق بالدّلالة ،فالسياق هو اجتماع الدّلالة ضمن التركيب في إشارة واضحة إلى اجتماع قرائن أو إشارات للمعنى ضمن التّركيب وهذا نجده أكثر ما نجده ضمن القرآن الكريم إذ نجد أنّ الأحداث المستقبليّة التي تنتظر الكون ونهاية العالم ويوم القيامة أحداث لها دلالتها السِّياقية التي تحكم على المعنى تغيّر الدّلالة التي خرج إليها الزّمن .

فالعلاقة ما بين الدّلالة والسياق علاقة مترابطة مع مع بعضها بعضاً ،فالدّلالة السِّياقية هي الدلالة التي يقصدها المتكلم ويفهمها السامع من خلال الحدث الكلامي تبعاً للظروف المحيطة، وقد عرفه تمّام حسان " " للسياق نوعان: سياق لغويّ يتمثل في العلاقات القائمة بين اللفظ وما يسبقه وما يليه في النظم، وبه يُفهَم اللفظ على وجهه الصحيح. وسياق الحال وهو ما يحيط بالكلام من ملابسات، من مقامٍ، ومخاطَبٍ، وبيئةٍ، وثقافةٍ، ونوايا، وظروفٍ اجتماعية، ولا يستقيم فهم الكلام إلا باجتماع هذين السياقين معًا."[16] ،فالمتكلّم في جميع الشواهد التي ستتمّ مناقشتها هو الله عزّ ،ومقام السّامع هو مقام المتدبّر لآيات الله عزّ وجل ،فالمعاني التي تشير إليها الآيات القرآنيّة ترتبط الارتباط الوثيق بتحديد موقع الفعل في الساحة الزّمنيّة الممتدة من الماضي إلى المستقبل ،ويمكن تحديد ساحة الزّمن كما ستتم دراستها في الآيات المكيّة وفق الآتي :

أوّلاً : الزّمن البعيد المرتبط بخلق الكون، وسمي في القرآن الكريم (حقباً) ،والأحقاب والحُقُب، وهي الأزمنة الطويلة من غير تحديد.

[16] علم الدلالة بين النظر والتطبيق، أحمد نعيم الكراعين، ص 100

ثانياً : الزّمن الماضي المرتبط بالأحداث التي سبقت الإسلام (الأقوام الماضون) .

ثالثاً : الزّمن الماضي السابق للحظة التكلّم.

رابعاً : الزّمن الحاضر الدّال على الحال ويشير إلى لحظة التكلّم.

خامساً : الزّمن الحاضر الدّال على المستقبل.

وهناك قرائن تغيّر في سياق الزّمن وهي :

1- **الأحقاب والحُقُب**، وهي الأزمنة الطويلة من غير تحديد، قال تعالى:" ﴿ **لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا**﴾**17**، والأحقاب تشير إلى الزّمن البعيد والممتد .

2 – **السنة والعام**، وقد اجتمع ذكرهما في آية واحدة ،هي قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ**﴾[18]،وهي دلالات على ارتباط الفعل الوارد في سياق الآية بالزّمن الذي أشارت إليه القرائن (السنة ،العام ،العدد ألف)

3 – **الشهر**، ولفظ الشهر يشير إلى تواصل الأيام مجتمعة ومتواصلة في ثلاثين يوماً دون انقطاع وهذا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتغيّر دلالة الزّمن .

4 – **السرمد** . وهي في لسان العرب[19] : " السرْمَدُ: دوام الزمان من ليل أَو نهار. وليل سرمد: طويل. وفي التنزيل العزيز ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ**﴾[20]

---

[17] النبأ 23.

[18] العنكبوت ،14.

[19] لسان العرب ،ابن منظور ،ج7 ، مادة (سرمد).

[20] القصص ، الآية 71.

5 – ساعة و"بعض يوم"، قال تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾[21]، وقال تعالى: " ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾[22]

6 – لمح البصر، وهو مدة زمنية قصيرة جداً وأقرب شيء لمعناه أنه الثانية أوجزء منها، قال تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَو هُوَأَقْرَبُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[23].

والقرائن المرتبطة بالزّمن والتي تشير إليه ترتبط الارتباط الوثيق بالسياق وتفكير الكوفيين بالمعنى النّحوي ؛إذ نرى أنّ الكوفيين قسّموا الأفعال إلى أقسام اختلفت عن تقسيم البصريين ،ومفهوم الزّمن السِّياقي لديهم مرتبط بتحليلهم للزمن السِّياقي الذي يشير إلى زمن مغاير للزمن الصّرفي ،وهذا المفهوم لدى الكوفيين نراه عند العديد منهم كالكسائي والفرّاء وثعلب ،ومن بعده من جاء لينتهج نهجهم كابن مضاء القرطبي الذي ألغى نظريَّة العامل الفلسفيّة ،وتبعه مجددو النّحو كإبراهيم مصطفى ومهدي المخزومي.

يعَدّ الكسائي من أبرز نحاة الكوفة، وقد كان رأس مدرستها في عصره، واشتهر بمناظرته مع سيبويه وما أثارته من اختلافات بين المدرستين البصرية والكوفيّة. ولم يصل إلينا من مؤلّفاته إلا القليل، وقد نصّ الباحثون على ضياع معظم كتبه، وأنّ آراؤه إنما حُفظت في مصنفات النحاة الذين نقلوا عنه، مثل كتب الفراء وابن السّراج والمبرّد وغيرهم[24]. أمّا الفرّاء (ت 207هـ)، وهو أكبر تلامذة الكسائي وخليفته في الكوفة، فإنّ أهم ما وصل إلينا من مؤلفاته كتاب «معاني القرآن»،

[21] يونس ،الآية 45

[22] الروم ،55.

[23] النحل ،77.

[24] الفهرست ،ابن النديم، ، تحقيق رضا تجدد، بيروت: دار المعرفة، ص 87–89؛ وانظر: مدرسة الكوفة النحوية ،محمد الطائي، ، بغداد: مطبعة المعارف، 1976م، ص 112–115،

وهو ليس تفسيرًا بالمعنى المصطلح، بل كتاب لغوي نحوي اتخذ فيه القرآن الكريم ميدانًا لتقرير الأصول الكوفية، وفيه عرضٌ لتحليلات دقيقة تكشف طبيعة النظر النحوي عند الكوفيين، ومنها مباحث تتصل بالزمن ودلالاته في التراكيب القرآنية[25].

والزّمن السِّياقي عند الكسائي ارتبط بفهمه للمعنى النّحوي إذ فسّر عمل اسم الفاعل في حالة دلالته على الزّمن الماضي ،فذهب إلى إعماله مطلقاً ،سواء دل على الماضي أو الحال والاستقبال، وهو يخالف الجمهور بإعماله ماضياً. وهذا ما نقله عنه ابن هشام ،والكسائي في نظرته إلى الزّمن السِّياقي لم يذكر الزّمن بشكله الصّريح في دراسته للقضايا النّحويّة إنّما من خلال حديثه عن اسم الفاعل وعمله وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ۚ لَو اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾[26]، فذكر ابن الأنباري في مغني اللبيب في القاعدة السادسة " أنّهم يعبّرون عن الماضي والآتي كما يعبّرون عن الشيء الحاضر " رأي الكسائيّ في عمل اسم الفاعل إذا جاء في سياق الماضي وغيره[27] ، فيتبين من هذا النقل أنّ مذهب الكسائي إعمال اسم الفاعل المجرد الذي بمعنى الماضي مخالفا لرأي الجمهور في هذا المسألة ،فهو يلحقه بالفعل الماضي لموافقته في المعنى، وهذا إشارة أنّ الكسائي نظر إلى الزّمن من خلال السياق لا من خلال التّصريف ،فاسم الفاعل (باسط) دلّ على وقوع الزّمن في الماضي.

ومما جاء في القرآن الكريم ويشير إلى دلالة اسم الفاعل على الزّمن الماضي آيات عدّة تشير في سياقها إلى الزّمن ومنها قوله تعالى : ﴿ **هُوَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ**

[25] معاني القرآن ،الفرّاء، ، تحقيق أحمد يوسف نجاتي وآخرين، القاهرة: دار المصرية للتأليف والترجمة، 1955م، ج 1، ص 5–7 (تقديم المحقق)، حيث يبيّن طبيعة الكتاب ومنهجه، وأنه كتاب لغوي نحوي قائم على تحليل التراكيب القرآنية.

[26] الكهف ، الآية 18

[27] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ،جمال الدين ابن هشام الأنصاري ،تحقيق الدكتور مازن المبارك ،محمد علي حمد الله ،ومراجعة سعيد الأفغاني ،القسم الثاني (مسرد الموضوعات) ،د ط ،ص 906.

وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَالرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾[28]؛إذ دلّ اسم الفاعل (عالم) على زمن الماضي المحض ،وهذا من السياق يدلّ على علم الله جلّ جلاله في أمور الغيب منذ الأزل ،وحسب تقدير الكسائي اسم الفاعل في الآية الكريمة يعمل إذا كان ماضياً [29]، وعمله هنا في دلالته على الزّمن السِّياقي الماضي والدّلالة هي تحقق وثبات علم الله سبحانه وتعالى في الأزل.

وأرى أنّ الكسائي اعتمد على المعنى النّحوي الموجود في اسم الفاعل عامّة ليشير إلى عمله في أيّ حالة ورد سواءً دلّ على الحال والاستقبال أو الماضي، وذلك لتضمن اسم الفاعل الزّمن ،ومن ثمّ يصبح تحديد الزّمن حسب رأي الكسائي عائد إلى السّياق في التّركيب.

وفي الكثير من الآيات الكريمة يدلّ اسم الفاعل على الزّمن السِّياقي في أزمنته المتنوّعة ،فالنحاة قرروا أنّ الأصل في اسم الفاعل أن يدلّ على الحال أو الاستقبال، غير أنّ الكسائي يرى أنّ اسم الفاعل قد يُستعمل للدلالة على الماضي إذا اقترن بسياق يدلّ عليه، ولا يلتزم دلالته الأصلية على الحدوث المتجدّد أو الحال. فقد نقل عنه النحويون أنّ اسم الفاعل يعمل عمل فعله "إذا كان بمعنى الماضي أو الحال"، أي إنّ دلالته الزمنية غير ثابتة في صيغة اللفظ، بل تتحقق من خلال السياق الذي يحيط به [30]. ومن أشهر ما استدلّ به الكسائي على إمكان دلالته على الماضي أنّ العرب تقول: «هذا المُنطَلِقُ أمسِ»، فجُعل الوصفُ بـ منطلق . وهو اسم فاعل . واقعًا على زمنٍ منقطعٍ مضى[31] ،و اتّجه الكسائي إلى إثبات قدرة المشتقات على حمل دلالة الماضي استقلالًا إذا

---

[28] الحشر 22

[29] شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ،ابن هشام ،دار احياء التراث العربي ،بيروت ،لبنان ،الطبعة الأولى ،2001م ،ص 203.

[30]

1. الأصول في النحو، ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري. ،تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988م، ج2، ص 21–22

[31] شرح الكافية، الرضي، رضي الدين الاستراباذي. تحقيق يوسف حسن عمر، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994م، ج2، ص 13–14.

دلّ السياق على ذلك، إذ يقول: «وقد يكون اسم الفاعل يراد به الماضي إذا دلّ الكلام عليه»[32]. وهذا تصريح يفتح مجالًا واسعًا لفهم المشتقات بوصفها صيغًا ذات طاقة زمنية غير جامدة.

وهذا الاستعمال عنده مؤشّرٌ على أنّ الزمن في اسم الفاعل ليس ذاتيًّا في البنية الاشتقاقية، وإنما يمنحه السياق قيمته؛ فإذا دلّ المقام على انقضاء الحدث، حمل اسم الفاعل على الماضي دون تكلّف أو خروج عن سنن العربية. ويكشف هذا الرأي عن منهج نحويّ يقدّم الاستعمال العربي بوصفه أصلاً في تقرير الدلالة، ويؤكّد أنّ الزمن السياقي قد يتقدّم على الزمن الصرفي في الترجيح الدلالي. فالأحداث الموغلة في القدم التي تتعلّق بخلق الله سبحانه وتعالى والمرتبطة أيضاً بما أحدثه الأوّلون من أفعال مضت كلها تشير إلى الزّمن الماضي ،وكأننا أمام اسم الفاعل كفعلٍ ماض عبّر عن هذه الأحداث ،وإذا تساءلنا لماذا جاء اسم الفاعل بديلاً عن الزّمن الماضي؟،فإنّ السبب يكمن في جمع دلالتين معاً وهي القيام بالفعل وتحقق وثبوت هذا الفعل في الزّمن الماضي ،ومن ذلك قوله تعالى : ﴿**أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ...**﴾ [33] ،فقد ورد في الآية اسم الفاعل «شُهَدَاء»، وهو في أصله يدلّ على من يقوم بفعل الشهادة حالًا أو استقبالًا. غير أنّ السياق القرآني ينقل دلالته إلى الماضي المحقّق؛ لأنّ الاستفهام موجّه إلى المخاطبين عن واقعة ماضية هي حضور موت يعقوب عليه السلام. وامتلاء السياق بقرائن الماضي—مثل: «إذ حضر»، «قال لبنيه»—يجعل اسم الفاعل هنا بمعنى: هل كنتم شهدتم؟ أي هل كنتم حاضرين تلك الحادثة الماضية.

وقد نبّه ابن عاشور إلى هذا التحوّل الدلالي، فذكر أنّ «شُهَدَاء» هنا بمعنى الحاضرين الواقعة زمن وقوعها، والقرينة الزمنية هي التي صرفت اسم الفاعل عن دلالته الأصلية إلى معنى الماضي المتحقق، وأنّ الاستفهام جاء للتوبيخ على ادّعاء علم شيء لم يشهده المخاطَبون[34]. وهذا

[32] ما تلحن فيه العامة، الكسائي، تحقيق عبد الصاحب الدجيلي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1979م، ص 112.

[33] البقرة 133

[34] التحرير و التنوير ،محمد الطاهر ابن عاشور ،الدار التونسية للنشر ،تونس ،1984، ج2، ص117.

يتفق مع تقرير النحاة أنّ اسم الفاعل لا يعمل بزمَنِه الأصلي إذا قُيّد بسياق يفرض زمنًا آخر، بل «يتبع القرائن اللفظية والحالية» كما نصّ عليه ابن هشام[35]

و اسم الفاعل أحد أكثر المشتقات العربية مرونةً من حيث الدلالة الزمنية؛ إذ لا يقتصر استعماله على الدلالة على الحال أو الاستقبال – كما استقرّ عند جمهور النحاة – بل قد يتجاوز ذلك فيدلّ على الزمن الماضي حين يستدعيه السياق ويقتضيه المقام. وقد نبّه عدد من النحاة القدماء إلى هذه الظاهرة، وإن اختلفت مسالكهم في تفسيرها. فالبصريون في الغالب جعلوا القرائن هي الحاكمة في نقل الدلالة من أصلها إلى ما يقتضيه المقام.

وتظهر هذه الدلالة عند النّظر في النصّ القرآني، الذي يُعدّ من أدقّ المواطن التي تتجلّى فيها الدلالات السياقية؛ إذ يتنوّع استعمال اسم الفاعل فيه بين الحال والاستقبال والماضي تبعًا لتركيب الجملة والقرائن المحيطة. وفيما يأتي ثلاثة شواهد قرآنية يتجلّى فيها اسم الفاعل بدلالة الماضي المحض، مع تحليل سياقي يبرز الأسس التي تدعم هذا الفهم، ففي قوله تعالى : ﴿**وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ**﴾[36] يَرِد اسم الفاعل «غالب» هنا بمعنى المتغلّب الذي وقع غلبُه فعلاً، لا بمعنى المتلبّس بالغلبة حالًا أو استقبالًا. فالسياق يُظهر أنّ الجملة جاءت تعقيبًا على بيع يوسف عليه السلام بثمن بخس، وهو حدث متحقق وماضٍ، لتثبيت معنى أن قَدَر الله قد سبق وحكم. فدلّ ذلك على أن الغلبةَ المذكورة غلبةٌ متحققة بالفعل، وليست وعدًا مستقبليًا.

ولقد تنبّه الزمخشري إلى أنّ الجملة وردت «استئنافًا لبيان نفاذ مشيئة الله فيما قد مضى» [37]، مما يشير إلى أنّه حمل «غالب» على معنى الماضي المتحقق. وهذا ما ذهب إليه ابن عاشور أيضًا، حين عدّه «إخبارًا عن صفة قد ظهرت آثارها في قصّة يوسف قبل هذا

[35] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ،ابن هشام الأنصاري ،تحقيق مازن المبارك و محمد علي حمد الله ،بيروت ،دار الفكر ،1985، ج1، ص113.
[36] يوسف ،الآية 21
[37] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ،الزمخشري، ،دار الكتاب العربي، بيروت، ج3، ص 84.

الموضع» [38]، ومن ثمّ يظهر أنّ دلالة اسم الفاعل هنا ليست دلالةً صيغيةً أصلية، بل دلالة سياقية فرضها انتظام القصة وسياقُ الأحداث الذي يجعل «الغلبة» فعلًا حاصلًا.

و في قوله تعالى : ﴿**إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾ [39] يَرِد في الآية اسم الفاعل «ساجدين»، وهو في الظاهر صيغةُ حال، إلا أنّ السياق يدلّ على أنّ السّجود قد وقع وانقضى في الرؤيا، والرؤيا نفسها حدث ماضٍ نقلَه يوسف لوالده. وقد صرّح الفراء بأنّ اسم الفاعل في مثل هذا السياق «يُراد به الماضي لأن الرؤيا قد تمّت» [40].

ويؤكد الطّبري هذا الفهم حين يشرح الآية قائلاً: «أي رأيتهم قد سجدوا لي في نومي» [41]؛ فاستعمال «قد» في تفسيره يشير إلى أنّ الفعل متحقق الوقوع زمن الرؤيا، لا جارٍ أو مستقبلي. وهذا يعني أنّ صيغة الجمع «ساجدين» خرجت من أصلها الدالّ على الحال إلى معنى الفعل الماضي المتحقق، لأن الرؤيا – بوصفها حدثًا – أمرٌ ماضٍ محسوم.، ويبدو أن هذا الاستعمال يبرز واحدة من أهم وظائف اسم الفاعل: نقل الصورة الذهنية للفعل بعد وقوعه، لا بوصفه حدثًا جاريًا، بل بوصفه مشهدًا متكاملًا تُروى وقائعه.

يتبيّن من الشواهد السابقة أنّ اسم الفاعل يكتسب دلالة الماضي من خلال ثلاثة مسالك سياقية رئيسة:

1. **الربط الحدثي السابق،** كما في قوله: «والله غالب على أمره»، حيث تسبق القرائنُ الحدثيةُ دلالةَ الصيغة فتجعل الغلبة واقعةً قبل الجملة.
2. **نقل مشهد الرؤيا المحقَّق،** كما في «ساجدين»، حيث يحكم السياق بتمام الفعل.

وتكشف هذه الظاهرة أنّ الدلالة الزمنية في العربية ليست حكرًا على الصيغة، بل هي نتاج تفاعل بين البنية الصرفية والسياق التركيبي والدلالي. وهذا ما أشار إليه ابن جني عندما جعل

[38] التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ج12، ص 233.
[39] يوسف ،الآية 4
[40] معاني القرآن، الفراء، تحقيق أحمد يوسف نجاتي وآخرين، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، ج1، ص 98.
[41] جامع البيان، الطبري، تحقيق شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج13، ص 45.

«المعاني تابعة للمقاصد»[42]، أي أنّ مقصد المتكلم والسياق هو الذي يحدّد الدلالة الزمنية وليس الصيغة وحدها.

فالزّمن السِّياقي عند الكوفيين يعتمد على المعنى النّحوي الذي يحلّل معنى التركيب ضمن الجملة وكما رأينا دلّ اسم الفاعل على زمن مضى ومستقبلي دون وجود إشارة لفظيّة من فعل يدلّ على الحدث المرتبط بالزّمن وهذا يشير إلى أنّ الكسائي انتبه إلى ضرورة ربط المعنى في التركيب وخاصّة الكلمات التي تشير إلى زمن ما، ومن ثمّ أرى أنّ الزّمن السِّياقي له وجوده ضمن التركيب لأنّ التأويل تضمّن الزّمن في وجود اسم الفاعل كما رأينا في الآيات القرآنيّة التي دلّت على مستقبل تضمن أحداث يوم القيامة وأحداث تحققت في القدم وارتبطت بولادة الكون وخلقه وإرادة الله سبحانه وتعالى .

- **الزمن الصرفي والسياقي عند الكوفيين:**

إنّ الارتباط ما بين الصرف والسياق نابع من الدّلالة الزّمنية التي توافق الزّمن الصّرفي، وكما مرّ معنا في الزّمن الصّرفي عند البصريين الذين أطلقوا الزّمن وفق صوغه الصّرفيّ ،لكنّ المتتبّع لنظريَّة المعنى ودراسة الكوفيين للزمن يرى أنّ الزّمن الصّرفي عند الكوفيّين قد أخذ شكلاً مختلفاً عن التصريف البصريّ ،فالسياق القرآني كما قال بعضهم: "أما السياق القرآني فإننا نقصد به: الأغراض والمقاصد الأساسية اليت تدور عليها جميع معاني القرآن، إلى جانب النظم الإعجازي، والأسلوب البياني الذي يشيع في جميع تعبيراته[43].

[42] الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، ج2، ص 18.

[43] دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام ،الشتوي، فهد بن شتوي، ،رسالة ماجستير قدمت إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة أم القرى، 2005م، ص،

فالصيغة لغة: من: "صاغه صوغاً وصِياغةً: صنعه على مثالٍ مسْ تقيم، والمعدن سَبَكه، والكلمة: اشتقَّها على مثال، وصيغة الأمر: هيئته التي بُنيَ عليها، وصيغة الكلمة: هيئتها الحاصلة من ترتيب حروفها وحركاتها، والجمع صِيَغ" [44]

وعلى هذا فالصيغ التصريفية لغة: التّحويل والتّغيير من صيغة الكلمة التي بُنيَتْ عليها إلى صيغة أخرى وما يتبع ذلك من تغيير صيغة اللفظ ومعناه.. وهذا المعنى اللغويّ لا يختلف عن المعنى الاصطلاحي للصيغ التصريفية .

إنّ لبنية الكلمة وصيغتها دورًا في تحديد معناها فلكل صيغة صرفية معنى أو معان مستفادة منها تسمى الدلالة الصرفية ؛ وهي نوع من الدّلالة يستمد من الصيغ وبنيتها، ولكل صيغة دلالة تزيد أو تنقص عن غيرها وإن اشتركتا في ملمح دلالي[45]، وبنية الفعل ترتبط بالسياق الزّمني ولذلك رأى الكوفيّون أنّ الزّمن مرتبط بالدّلالة السِّياقية التي دلّ عليها، والآيات المكيّة غنيّة بالأفعال التي جاءت في صيغة صرفيّة ودلالة سياقيّة مختلفة للزمن.

وقد اختلف اللغويون العرب القدماء في أصل الاشتقاق ؛إذ ذهب الكوفيون إلى أنّ الفعل أصل الاشتقاق والمصدر مشتق أن منه ، على حين ذهب أهل البصرة إلى أن المصادر هي أصل أبنية اللغة وليس الفعل[46].

قسم البصريون الفعل باعتبار زمانه إلى ثلاثة أقسام: الماضي، والمضارع، والأمر. وأمّا الكوفيون، فقد قسموه، أيضاً، إلى أقسام متفقين مع البصريين في القسمين الأولين، ومختلفين معهم في القسم الثالث، فقد جعلوه (الفعل الدائم)، لا فعل الأمر الذي جعلوه مقتطعا من المضارع، مع

[44] المعجم الوسيط ،مجمع اللغة العربية : ١/٥٢٨ .٥٢٩.

[45] دلالة الألفاظ ،إبراهيم أنيس ،ص 47.

[46] الإنصاف في مسائل الخالف ، أبوالبركات الأنباري)، 1/235: ، رقم المسألة.28.

تعدد التسميات التي تدل على هذه الأفعال كافة ،كما جعل الكوفيون من الأفعال ما ليس منها عند البصريين، كاسم الفاعل والمصدر، وأسماء الأفعال[47]

فالكوفيّون في نظرتهم للاشتقاق كان الفعل هو الأساس في خروج الأسماء المشتقة ،وهذا يشير إلى أولوية الفعل بالنسبة للكوفيين ،ولكنّ المتتبّع للفعل عند الكوفيين يرى أنّ الصيغة الصرفيّة قد زادت عن التقسيم البصري فيما يتعلّق بالفعل الدّائم الذي عدّه البصريّون اسماً، فالزّمن الصّرفي عند الكوفيّين هوزمن مرتبط بالتقسيم الزّمني للأفعال .

إذا أراد الكوفيون الإشارة إلى الدّلالة الزمانية في الفعل عبروا عن ذلك، كالبصريين، بالماضي للدلالة على وقوع الحدث في الزّمن الماضي، وبالمستقبل للدلالة على وقوع الحدث في زمن الحال، أو الاستقبال، وأمّا إذا أرادوا الإشارة إلى صيغة الفعل التي يكون عليها، فإنهم يقولون: (فعَل) إذا كان الفعل ماضياً، و(يفعل) إذا كان الفعل مستقبلاً [48]

فالزّمن الصّرفي في القسم الأول عند الكوفيين كان في زمنين أساسيّين هما : الماضي والحاضر لكنّ الكوفيين أرادوا بالحاضر هنا الدّلالة على الزّمن المستقبل الدّال على الحال أو الاستقبال ،فالدّلالة اختلفت عن الصيغة الصّرفيّة .

والصيغة الصّرفيّة (فعلَ) صيغة دالّة على الزّمن الماضي في الدلالة الصّرفيّة للزمن ،لكنّها تخرج إلى دلالات سياقيّة متنوّعة يحكمها المعنى ،فنظريَّة المعنى النّحويّة كما ساقها الكوفيّون كانت تعتمد على التّقريب للمعنى ،فالتفسير القرآني للزّمن الوارد في القرآن الكريم يشير إلى تغيّر الدّلالة الصّرفيّة للصيغة (فعلَ) عن دلالتها على الزّمن الماضي إلى دلالة جديدة وهي

[47] معاني القرآن، الفراء ، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي ،دار المصرية للتأليف والترجمة – القاهرة
الطبعة: الأولى ،الجزء 1، ص 292–1،168/293.

[48] انظر: معاني القرآن ،الفراء ،أبو زكريا يحيى بن زياد (ت 207هـ) حقّقه بدر الدين الدسوقي عبد العزيز ،مؤسسة الأهرام ،القاهرة ،1989،. ،84/1.

الزّمن المستقبل المرتبط بالحال وذلك في حالات عدّة يمكن ربطها بالدّلالة المرتبطة بالآيات الكريمة .

وفي صيغة (يفعل) كان الفرّاء يعبّر بهذه الصيغة أحياناً عن الفعل المضارع إذا أراد الصيغة بقوله: الذي في أوله الياء أوالتاء، أوالنون، أوالألف [49]

والفرّاء في معرض حديثه عن (حتى) يتطرّق إلى الزّمن الصرفي والسِّياقي ،وذلك من خلال قوله : " **فإذا رأيتَ قبلها فعلاً ماضياً، وبعدها يفعل في معنى مضى، وليس ما قبل حتى يفعل يطولُ، فارفعْ يفعل بعدها، كقولك: جئتُ حتى أكون معك** الفرّاء **قريباً**."[50] يعرض قاعدةً نحوية تتعلق بعمل «حتى» في الفعل المضارع، ويجعل الضابط الأساس أن يكون الفعل قبلها ماضياً، وبعدها مضارع يقع بمعنى الماضي، فلا يدلّ على امتداد الحدث، فيوجب الرفع. ويشير إلى أنّ غالب النحويين خالفوا ذلك فرجّحوا النصب إذا اختلف الفاعلان. ثم يستدلّ بسماعٍ مباشر من العرب نقله الكسائي ،مبيّناً تقدّم السماع على القياس ،وتؤكّد الشواهد الشعرية واللغوية أنّ «حتى» هنا للغاية الزمنية، وأن رفع المضارع ناشئ عن انقطاع دلالته عن الاستقبال واقترابه من معنى الماضي ،فنلاحظ أنّ الفعل (يفعل) عند الفراء قد أخذ تصريفاً ماضياً، فهو بمعنى الماضي وهذا ما أشار اليه الفرّاء في تحليل رفع الفعل بعد(حتى)،وفي الحقيقة هو تصريف في الزّمن الحاضر لكنّ الدلالة السِّياقية كانت مرتبطة بالزّمن الماضي بعد (حتى) وهذا ما أشار اليه الفراء في هذه المقولة إلى عدّ الزّمن بعد (حتى) في هذا الموضع هو زمن مرفوع ولا علاقه له بالنصب لأنّ الزّمن الصرفي هنا أخذ معنى الماضي ولا يجوز في هذه الحالة أن يكون النصب علامة له ،وفي هذا الموضع أرى أن الفراء ربط ما بين الدلالة الصرفية والدلالة النحوية من خلال امتناع نصب الفعل (يفعل) بعد حتى وذلك لدلالته على الزّمن الماضي وهنا أرى أنّ الفراء عدّ أن الزّمن الصرفيّ عندما يدل على زمن ماض فلا يجوز أن يعامل معاملة الزّمن الحاضر في علامات الإعراب

[49] معاني القرآن ،الفراء:273/1.

[50] المصدر السابق ،293-292/1

وذلك في نصب الفعل المضارع بعد حتى، ومن أمثلة ذلك في السّور المكيّة قوله تعالى : ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [51]

والعلامة الإعرابية للفعل (يغيّروا) في الآية الكريمة كما وردت في القران الكريم لم تكن مرفوعة بثبوت النون كما زعم الفراء ونلاحظ نصب الفعل بعد حتى، ودلالة ذلك هو حذف النون من الفعل ،وهذا يدل على أنّ دلالة الفراء لما ورد في قاعدته في معاني القرآن لا تنطبق على ما ورد في الآيات القرآنية ،وهنا يمكن الإشارة الى أنّ الفعل بعد حتى قد دل في دلالته السِّياقية على الزّمن المستقبل ولم يدل على الزّمن الماضي كما أشار الفرّاء ، فتغيير ما في النفوس في الآية الكريمة كما أشار الله سبحانه وتعالى هو مرتبط بتحقق هذا الزّمن في المستقبل القريب وتحققه لم يكن متحققاً في الزّمن الحاضر في لحظه التكلم إنما يتحقق مستقبلاً فإذا غيّر القوم ما بأنفسهم في المستقبل غيّر الله من حالهم ،وهذا الفعل في هذه الحالة في دلالة صرفية دلّ على الزّمن الحاضر، وفي دلالةٍ سياقية دل على الزّمن المستقبل وفي الحالة الإعرابية بقي الفعل المضارع مرتبطاً بالعامل النحوي الذي جاء في الآية الكريمة وهو أداة النصب حتى فهنا هو منصوب وعلامة نصبه حذف النون من آخره لأنه من الافعال الخمسة فإذا صح تأويل الفراء فيجب أن يكون الفعل المضارع بعد حتى مرفوعاً (يغيّرون) ،وهذا ما لم يرد في الآية الكريمة ،فالتأويل كان في مثال شعريّ ولم يكن عند الفرّاء في تطبيق على آيات القرآن الكريم .

خاتمة:

يتضح من الدراسة أنّ الكوفيين، وعلى رأسهم الكسائي والفراء، أولوا اهتمامًا بالغًا بـ (المعنى النحوي) كمرتكز لفهم الزمن في اللغة العربية، معتمدين على السياق أكثر من الصيغة الصرفية الثابتة. فقد برهن البحث على أنّ اسم الفاعل، رغم أنّ الأصل عند جمهور النحاة في

[51] الأنفال ،53.

دلالته على الحال أو الاستقبال، يمكن أن يُستعمل في سياق معيّن للدلالة على الماضي المحقق، حيث تلعب القرائن اللفظية والمقامية دورًا حاسمًا في تحديد الزمن.

كما أظهرت الدراسة أنّ الزمن الصرفي لدى الكوفيين، بالرغم من تبنيه للتقسيم التقليدي إلى الماضي والمضارع، قد توسّع ليشمل مفهوماً جديدًا للفعل الدائم، لا يقتصر على الصيغة بل يرتبط بالدلالة السياقية التي يفرضها التركيب والمعنى. وتظهر العلاقة الوثيقة بين الدلالة والسياق في القرآن الكريم، حيث يتحقق المعنى الزمنّي ليس من خلال الصيغة الصرفية وحدها، بل عبر التفاعل بين التركيب اللغوي والسياق المقامي والقرائن اللفظية.

ومن ثمّ، يمكن استنتاج أنّ الزمن في اللغة العربية عند الكوفيين ليس عنصرًا ثابتًا ضمن الصيغة الصرفية، بل هو منتج دلالي سياقي يعتمد على فهم المعنى النحوي للتركيب، وعلى دور المتكلّم والمقام والخطاب. هذه المرونة الدلالية تمنح اللغة العربية قدرة استثنائية على التعبير عن الزمن بشكل متنوع، مما يفسر تعدد استخدامات اسم الفاعل في القرآن الكريم بين الماضي والحال والمستقبل، حسب مقتضيات السياق وترتيب الأحداث.

ختامًا، يؤكد البحث أنّ نظرية المعنى النحوي عند الكوفيين أسهمت في توسيع فهم الزمن في اللغة العربية، وجعلت السياق والمعنى هما المرجع الأساسي في تحديد الزمن، متجاوزةً قيود الصيغة الصرفية التقليدية، وهو ما يضع المشتقات العربية، وعلى رأسها اسم الفاعل، في قلب دراسة الزمن الدلالي والسياقي.

- **قائمة المصادر والمراجع:**

المصادر التي عاد إليها البحث:

- القرآن الكريم.

أولاً: كتب التفسير وعلوم القرآن

1. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج2..
2. تقشير التفسير، أبو علي عالي بن إبراهيم الغزنوي البلقي الحنفي، تحقيق: علي مفتاح الشنبي، دار المالكية، ط1، 2023م، ج2..
3. جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج13.
4. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ج3..

ثانياً: كتب النحو والصرف

1- الأصول في النحو، ابن السراج (أبو بكر محمد بن السري)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1988م، ج2.
2- الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات الأنباري ،دار إحياء التراث العربي، القاهرة ،الطبعة الأولى ، 2003م .
3- الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط3، 1979م.
4- الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، 2006م.
5- شرح الكافية، الرضي (رضي الدين الاستراباذي)، تحقيق: يوسف حسن عمر، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994م.
6- شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ابن هشام، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.

7- شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008م.
8- الكتاب، سيبويه (عمرو بن عثمان بن قنبر)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ/1988م.
9- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، 1985م.
10- المفصل في صنعة الإعراب، محمود بن عمرو الزمخشري، تحقيق: علي بوملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1993م.

ثالثاً: كتب اللغة والبلاغة

1- أساس البلاغة، الزمخشري، مراجعة: إبراهيم قلاتي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1980م.
2- تاج العروس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء – الكويت والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، 2001م، ج37.
3- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: رشيد عبد الرحمن العبيدي، الهيئة المصرية، القاهرة، 1970م.
4- لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ)، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت 1995.
5- اللغة العربية معناها ومبناها : تمام حسان، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973.
6- ما تلحن فيه العامة، الكسائي، تحقيق: عبد الصاحب الدجيلي، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1979م.
7- معاني القراءات، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (أبو منصور)، مركز البحوث – كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ط1، 1412هـ/1991م.

8- معاني القرآن، الفراء، تحقيق: بدر الدين الدسوقي عبد العزيز، مؤسسة الأهرام، القاهرة، 1989م.

رابعاً: كتب ودراسات الدلالة

1- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة ،الطبعة الثالثة ،1976.

2- الدلالة والنحو، صالح الدين حسنين، ط.6 مكتبة الآداب، مصر ، د ط علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م.

3- مدخل لدراسة المعنى النحوي والدلالي، حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، القاهرة، ط6، 1999م.

4- ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث، محمد إسماعيل بصل وفاطمة بلة، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد 18، 2014م.

خامساً: الرسائل الجامعية

1- دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام، فهد بن شتوي الشتوي، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 2005م.